

هل حقاً تحاول سياسة الإمارات الخارجية ابتلاع أكبر مما تستطيع مضغه؟!



منذ سنوات قررت الإمارات أن تكون رائدة في تشكيل الشرق الأوسط، لكنها الآن تعيش منعطفاً دراماتيكياً انعكس على سياستها ووجودها في المنطقة. وفسرته مجلة فورين بوليسي بكون ذلك نتيجة لمحاولة ابتلاع الدولة أكثر مما يمكنها مضغه.

تشير المجلة الأمريكية إلى أنه وقبل "ست سنوات، بدأت دولة الإمارات العربية المتحدة في تأكيد نفسها كعنصر فاعل عسكري وسياسي كبير في الشرق الأوسط. أتاح الانقلاب الناجح ضد جماعة الإخوان المسلمين في مصر في يوليو/تموز 2013 فرصة للإمارات اتخاذ زمام المبادرة الحاسمة في تشكيل الأحداث في جميع أنحاء المنطقة - وهي فرصة كانت سعيدة لاستغلالها."

المنعطف الكبير

وقالت: في شهر يوليو/تموز من هذا العام، دخلت استراتيجية الإماراتيين منعطفًا حاسمًا. أولاً، أعلنت البلاد انسحابها من حرب اليمن، التي شنتها مع السعودية في عام 2015، لتتجهز تركيزها على الاستقرار ومكافحة الإرهاب.

بدأ المسؤولون الإماراتيون أيضاً في إطلاق نغمات تصالحية تجاه إيران. لم توجه الحكومة الإماراتية بشكل واضح اتهامها لطهران بالوقوف وراء الهجوم على أربع ناقلات قبالة ساحل الإمارات، على الرغم من التصريحات الصادرة من الولايات المتحدة والمملكة العربية السعودية بإلقاء اللائمة على إيران في الهجمات.

كما عقدت الإمارات وإيران أيضاً اجتماعات نادرة رفيعة المستوى لمناقشة الحدود البحرية. حدث كل هذا في وقت كانت فيه واشنطن تضاعف الضغط على طهران وتجمع حلفائها للقيام بالشيء نفسه. تتعارض هذه التغييرات أيضاً مع أولويات أقرب حليف لإمارة أبوظبي، الرياض، والتي تركت لخوض حرب ليس لديها القدرة على تحقيقها بمفردها.

وأكد أن الإمارات لم تقدم تفسيراً واضحاً لتحولاتها الجيوسياسية المفاجئة، لكن من المحتمل أنها تنبع من تقييم لاستراتيجيتها على مدى السنوات الست الماضية. أولاً، كان لتأكيد دولة الإمارات تأثير في تقليص مكانتها السياسية وسمعتها في الولايات المتحدة. ثانياً، حتى في ظل شروطها الخاصة، كانت الاستراتيجية أصعب بكثير من أن تتمكن الدولة الإماراتية من تنفيذها.

وتابع: يبدو أن هذا التغيير في السياسة جاء مع تصويت مجلس الشيوخ الأمريكي لإنهاء تورط أمريكا في حرب اليمن هذا الربيع. لقد مرّ القرار بموافقة 54 مقابل 46 بدعم من الحزبين، على الرغم من معارضة البيت الأبيض. تعززت ضرورة إعادة التفكير في أبوظبي من خلال العديد من الانتكاسات الإقليمية الأخيرة في الإمارات.

إعادة التفكير

وقالت فورين بوليسي إن "أي شخص لديه حتى فهم سريع للإماراتيين كان يعلم أن الخطوة التي اتخذها الكونغرس لن يتم الاستخفاف بها في أبوظبي، التي كانت دائماً تعطي الأولوية للبقاء في واشنطن. ع

لى سبيل المثال، كان السبب وراء التخلي الرسمي لدولة الإمارات عن دعمها لفصائل معارضة سورية في خريف عام 2016 هو مشروع قانون للكونغرس سمح للمواطنين الأمريكيين بمقاضاة الحكومات الأجنبية بسبب أعمال الإرهاب، والمعروفة باسم قانون العدالة ضد رعاة الإرهاب. وفقاً لمسؤول إماراتي بارز مشارك في الانسحاب، كان الخوف هو أن تكون الإمارات مسؤولة أمام المحاكم الأمريكية عن أعمال الإرهاب المحتملة التي تقوم بها فصائل متحالفة معها.

وقالت المجلة: كانت الإمارات دائماً مستجيبة للرأي العام الأمريكي والنقد المؤسسي الأمريكي، لكن هناك عاملاً آخر منعها من اتخاذ موقف مبكر: تحالفها مع السعودية. في وقت سابق من هذا العام، كان كبار المسؤولين الإماراتيين والمصادر المقربة منهم لا يزالون يعتقدون أنهم قادرون على التغلب على العاصفة المرتبطة بالحرب اليمنية وغيرها من السلوكيات السعودية الخاطئة، بما في ذلك مقتل الكاتب في صحيفة واشنطن بوست جمال خاشقجي في أكتوبر/تشرين الأول الماضي.

كانت الإمارات مترددة في التخلي عن السعوديين، خوفاً من متابعة مصالحهم الوطنية بطرق تتعارض مع الإماراتيين، بما في ذلك إصلاح العلاقات مع الخصوم مثل تركيا وقطر. لا يزال هذا هو السيناريو الدبلوماسي الأسوأ من منظور دولة الإمارات.

وتابعت: على نفس المنوال، يعتبر الإماراتيون تحالفهم الوثيق مع السعودية منذ عام 2015، ضد جماعة الإخوان المسلمين ودول مثل تركيا وقطر، أكبر مكاسب استراتيجية في السنوات الأخيرة.

أبو ظبي لم تعتمد تنفيذ جميع مواقف الرياض. في سوريا، على سبيل المثال، كانت الإمارات أول المؤيدين - من الدول التي تعارض بشار الأسد - لإقامة علاقات دبلوماسية مع النظام، رغم دعم السعودية لسياسة الولايات المتحدة المتمثلة في زيادة الضغط الاقتصادي على دمشق لمنعها من السيطرة على شرق سوريا.

لكن على الرغم من هذه الاختلافات، حافظت أبو ظبي والرياض على علاقة وثيقة، وعكنا معاً على إعادة رسم الخريطة السياسية والعسكرية في المنطقة، وتجنب أي عرض علني للاحتكاك أو الخلاف.

وعن نتائج هذا الانسحاب قالت المجلة: إن دولة الإمارات تحاول الآن استعادة سمعتها في واشنطن وغيرها من العواصم الغربية من خلال تصوير نفسها كدولة صغيرة تسعى لتحقيق الاستقرار والازدهار من خلال القوة الناعمة والمشاركة الاقتصادية، والتي تعارض بالتالي الحروب من جميع الأنواع في الشرق الأوسط. تتناقض هذه الرواية مع تصرفاتها على مدى السنوات الست الماضية، حيث حاول الإماراتيون - وفشلوا - عكس آثار الربيع العربي بأي وسيلة ضرورية.

وبهذا المعنى، فإن تحوّل سياسة الإماراتيين ليس مدفوعاً فقط بجهد لاستعادة سمعتها - بل إن ما يغذيها أيضاً يتمثل فشل السياسات التي فرضتها. يبدو أن الإماراتيين يشعرون بالإحباط بسبب عدم قدرتهم على تكرار دعمهم الناجح للانقلاب الذي أطاح بالرئيس المنتخب ديمقراطياً في مصر في عام 2013. وبالنسبة للإمارات، كان الإطاحة برئيس الإخوان المسلمين والحملة اللاحقة على التنظيم الإسلامي بمثابة حملة شاملة تريد أن تصبح ناجحة.

وبداية لمواجهة الإسلاميين في جميع أنحاء المنطقة، وهو انعكاس لارتفاعهم بعد الانتفاضات العربية في عام 2011. لكن الإمارات حققت نجاحاً محدوداً في أماكن أخرى منذ ذلك الحين، لا سيما في ليبيا واليمن وتونس.

واختتم بالقول: في أبريل/نيسان، على سبيل المثال، شن خليفة حفتر، أحد أمراء الحرب الليبيين وحليف مقرب من الإمارات، هجوماً على مدينة طرابلس، العاصمة التي تسيطر عليها حكومة معترف بها دولياً.

واعتبر هذا الجهد مقاومة تدعمها أبو ظبي لطرد الإسلاميين من العاصمة وتأكيد وجود زعيم استبدادي في ليبيا.

عادت تلك المقاومة بنتائج عكسية، وكانت الحملة التي استمرت عدة أشهر بمثابة إخفاق.

وفي الوقت نفسه، في اليمن، حاول السعوديون إقناع الإماراتيين بالعمل مع حزب الإصلاح الذي يهيمن عليه الإسلاميون، وهو الجهد الذي أدى إلى لقاءات مهينة بين قادة الحزب وحاكم الأمر الواقع في الإمارات، الشيخ محمد بن زايد (ولي عهد أبوظبي) الذي جعلها مهمة حياته سحق الإخوان المسلمين في كل مكان.